المحاضرة الثالثة: الاتجاهات السميولوجية

للسميولوجيا ثلاث اتجاهات معاصرة هي: سميولوجيا التواصل، سميولوجيا الدلالة، وسميولوجيا الثقافة. ولكل منها روادّ عوا الاتجاه ورسخوا له، وفصّ لوا في منطلقاته وغاياته وأدواته.

1. **سميولوجيا التواصل:** أهم روادها بويسنس "Buyssens"، بريتو Prieto، مونان Maunin وأوستين Ausitin ومارتيني Martinet. يربط رواد هذا الاتجاه بين مجال السميولوجيا وبين "الوظيفة" التي تؤديها الأنظمة السميولوجية المختلفة، سواء كانت لسانية أو غير لسانية، والوظيفة المنوطة بالسميولوجيا حسب رواد هذا الاتجاه هي وظيفة "التواصل"، فهم يقيمون العلامة على 3 أسس تختلف في ركن منها عن أركان العلامة عند دسوسير وبيرس، وتتكون حسبهم من الدال والمدلول والقصد.

وحسب رومان جاكبسون، فإن التواصل يستند إلى 6 عناصر أساسية هي المرسل، المرسل إليه، الرسالة، القناة، المرجع، اللغة. حيث يرسل المرسل رسالة إلى المرسل إليه وتتضمن هذه الرسالة موضوعًا أو مرجعًا معينا، وتكتب هذه الرسالة بلغة يفهمها كل من المرسل والمتلقي، ولكل رسالة قناة حافزة ولغة معينة. وتهدف سميولوجيا التواصل عبر علاماتها وا ٍشاراتها إلى الإبلاغ والتأثير على الغير، إذ تستعمل مجموعة من الوسائل اللغوية وغير لغوية لتنبيه الآخر والتأثير عليه عن طريق إرسال رسالة وتبليغها إيّاه.

التواصل نوعان: تواصل إبلاغي لساني لفظي (اللّغة)، وتواصل إبلاغي غير لساني (إشارات المرور مثلا).

الدليل (الإشارة) يؤدي وظيفة تواصلية (التبليغ) والتأثير على المخاطب من خلال ثنائية الأوامر والنواهيلكن هذا التأثير قد يكون مقصودًا أو غير مقصودًا، ويستخدم في ذلك مجموعة من العلامات، وتقوم سميولوجيا التواصل على دعامتين هما: محور التواصل ومحور العلامة.

- **محور التواصل:** إما لساني أو غير لساني.
- **محور العلامة:** أنواعها، مكوناتها، وعلاقة ذلك بالقصد.

أ- التواصل اللساني: ويتبلور في كل أنماط التعبير اللغوي والكلام.

• **مفهوم دارة الكلام عند دسوسير:** تتكون بصورة ذهنية لدى المتكلم، وتنتهي بصورة ذهنية لدى المتلقي مرورًا بترجمتها عند المتكلم في شكل أصوات تتنقل عبر الفضاء لتصل إلى أذن السامع الذي يحولها من صورة سمعية (دال) إلى صورة ذهنية أو فكرة.

ب- التواصل غير لساني: يضم هذا النوع من التواصل مجموعة من الأنساق الرمزية غير المدرجة في التواصل اللساني، وقد صنفه "بويسنس" في 3 أقسام حسب ثبات العلامة حينا وحسب علاقة مؤشرها بشكلها حينا آخر:

* **العلامة النسقية أو الثابتة أو القصدية:** وهي أنتجت من أجل قيمة معينة مثل إشارات المرور.

* **العلامة اللانسقية أو المتغيرة، أو غير ثابتة:** وتتغير فيها العلاقة بين طرفيها بحسب الظروف والحاجة (مثل الملصقات الإشهارية، استعمال الألوان في ظرف معين، ولكن قد يزول بزوال السلعة).

* **العلامة العضوية:** وهي التي أنتجت لقصد غير قصد الإشارة بالأصل ثم حولت إلى علامة قصدية واضحة، مثل لون السماء في دلالاته على حالة الملاحة.

أما المحور الثاني لسميولوجيا التواصل هو:

- **محور العلامة:** وكما يرى "بريتو"، فهي مكونة من دال ومدلول بينهما مناسبة ما.

2. **سميولوجيا الدلالة:**

أهم ما يمثل هذا الاتجاه هو "رولان بارث" فالبحث السميولوجي هو دراسة الأنظمة والأنسقة الدالة، فكل الوقائع والأشكال الرمزية والأنظمة اللّغوية تدل على مدلولات معينة، فهناك من يدل بلغة، وهناك من يدل بدون اللغة المعهودة، وبالتالي تجاوز رولان بارث تصور الوظيفيين اللذين ربطوا بين العلامات والمقصدية، وأكد وجود أنساق غير لفظية حيث التواصل غير إرادي ولكن البعد الدلالي موجود بدرجة كبيرة. وتتكون عناصر سميولوجيا الدلالة لدى بارث من مجموعة من ثنائيات **من الألسنية البنيوية وهي: اللغة والكلام، الدال والمدلول، المركب والنظام، التقرير والإيحاء.**

* **المركب والنظام:** تقوم هذه الثنائية على أن اللغة في إنتاجها تخضع لنوعين من العلاقات يطلق دسوسير على النوع الأول (العلاقة التركيبية) ← اللغة الخطية التي تنتج من السلسلة

الكلامية. أما النوع الثاني فيسميه دسوسير (العلاقات الترابطية أو النظامية)، ويقول في شأنها لا تتسم الكلمات خارج الخطاب بشيء مشترك وترابط في الذاكرة، مثال: (صنع، مصنع، صانع...) أو مرادفة أنشأ، أو متضادة مثل: هدّم.. التركيب يسميه يالمسليف (علاقات)، جاكبسون (التجاور).

* **التقرير والإيحاء:** تناولت هذه الثنائية الدلالة التقريرية التحديدية والدلالة التضمينية الإيحائية التي يتميز بها النص الأدبي. ويلجأ بارث إلى الاستناد إلى اللسانيات لمقاربة الظواهر السميولوجية كأنظمة الموضة، الأساطير، الإشهار،... الخ، وسميولوجيا الدلالة هي استعمال المعطيات والمناهج اللسانية من أجل دراسة الظواهر السميولوجية والبحث عن دلالاتها الاجتماعية والنفسية،... الخ.

3. **سميولوجيا الثقافة:**

أهم رواد هذا الاتجاه: المدرسة الإيطالية مع امبرطو إيكو، يوري لوتمان، أوسبنسكي، ايفانوف، توبوروف، روسي لاندي.

يرى "كاسير" أن الإنسان يختلف عن الحيوان من خلال النظام الرمزي الذي يستعمله، فالإنسان له طابع رمزي (التعبير واللغة)وهذا الطابع هو الذي يكوّن الثقافة بكل مكوناتها، من دين، علم، لغة، فن،... الخ.

لكن هذا الاتجاه على نوعين من الفلسفة، الفلسفة الجدلية الماركسية، وفلسفة الأشكال الرمزية لكاسرر. ويرى هذا الاتجاه أن المظاهر الثقافية أطر تواصلية وأنظمة دلالية وظيفية، ومن هذا المنظور يمكن أن نقول أن السميوطيقا كما يتصورها لوتمان هي علم يهتم بدراسة المظاهر الثقافية على أنها أنظمة تواصلية، ومن ثمة تنقلب تلك المظاهر إلى موضوعات للتواصل. يقدم أصحاب الاتجاه الثقافي مفهوم "النمذجة"، فتوصف الأنظمة السميائية (أنظمة العلامات) بأنها أنظمة منمذجة للعالم، أي أنها تضع عناصر العالم الخارجي (المرجع) في شكل تصور ذهني أو نسق، أو نموذج.

ويؤكد "ايفانوف" الجانب التواصلي إلى جانب النمذجة في جميع أنظمة العلامات فلا تقتصر على قدرتها في تشكيل العالم فحسب، بل تمتلك أيضا وظيفة أخرى هي نقل المعلومات، كما يذهب هذا الاتجاه إلى أن العلامة لا تكتسب دلالتها إلاّ من خلال وضعها

في إطار الثقافة، وهو لا ينظر إلى العلامة المفردة، بل يتكلم عن أنظمة دالة أي مجموعة من العلامات، ولا يؤمن باستقلال النظام الواحد عن الأنظمة الأخرى، بل يبحث عن العلاقات التي تربط بينها سواء كان ذلك داخل ثقافة واحدة (علاقة الأدب بالبنيات الثقافية الأخرى مثل الدين، الاقتصاد،... الخ).